خطوط اساسية في كتابة تاريخ الامة العربية

د. نور الدين جاطوم

امتنا العربيه الخالدة على الزمان لم تخرج من العدم . لتعرف على مسرح التاريخ وتبوات مكانها بين الامم . واستطاعت ان تفيد من تجاربها ومن مآتي الامم التي سبقتها . وان تقدم للانسانية رسالة الاسلام . وتنفح فيها روح التحرر ، وأن تنجز بدورها حضارتها المعروفه باسم « الحضارة العربية الاسلامية » . وأن تمتد بهذه الحضارة على جزء كبير من قارات العالم القديم .

وبالرغم من الظروف القاسية التي مرت بها امتنا العربيه حول تاريخها الطويل ، فقد قاومت عوادي الزمن . وما زالت تقاوم الغزاة والفاتحين والمستعمرين من كل جنس . واليوم تقف أمام أعظم التحديات . وتريد ان تزيل التخلف الذي لحق بها ، وأن تساير الركب الحضاري الحديث . ان أمة لها الكثير من ماضيها المجيد . وروحها الوثابة . وقوة نضالها . لا يمكن أن تستكين أو ترضى عن حاضرها المجزا الاليم . بل تريد ان تقتحم العقبات وتؤمن لأبنائها العيش الكريم . والمستقبل الافضل على ارضهم ، وان تعاود سيرتها الاولى وتسترد مكانتها بين الامم المتحضرة .

في اطار هذا المفهوم نرى أن ننطلق في كتابة تاريخ امتنا العربية . وما من شك في ان التاريخ العربي زاخر بالمؤلفات التي تناولته من جوانب عدة . ومن وجهات نظر عربية وأجنبية . حسب اجتهاد المؤلفين ودرجة ثقافتهم ووجدانهم . ولكن بالرغم من كثرة المؤلفات ، ما زالت هناك نواح من تاريخنا تحتاج الى عناية واهتمام وانارة . لنكشف لنا على حقيقتها . جهد المستطاع . بعد أن سادها الغموض . او فسرت تفسيرا ناقصا أو خاطئا . او اتخذت على انها حقائق مسلم بها ، أو اغفلت واهمل شانها .

والآن . وبعد أن كثر في بلادنا العربية . المؤرخون العرب الذين تثقفوا ثقافات عالية ، وأنتجوا آثارا علمية رفيعة . أصبح بالامكان الاعتماد على انفسنا وتاليف مجموعة جديدة جامعة لتاريخ أمتنا العربية . على ضوء المنهج العلمي للتاريخ . وبشكل افضل مما في السابق .

ونرى لتاليف هذه المجموعة التاريخية العربية الكبرى عرض هذه الخطوط الاساسية :

١ ــ ان كتابة التاريخ العربي بأسلوب علمي وروح موضوعية تقتضي منا الحياد في النظرة بدون فكرة خلفية أو مسبقة . أي دون تصور ان أمتنا خير أمة أخرجت للناس . بل أمة . كسائر الامم . لها ما لها وعليها ما عليها . وتواقه الى الافضل دوما . ولذا نرى ان يكتب تاريخ امتنا بعيدا عن الاهواء المختلفه او العواطف المتباينة وتعصب القديم . والتمسك بالتفسيرات التقليدية السابقه . واذا كان موضوع التاريخ يعنى الماضي . فيجب ان يبعث هذا الماضي على حقيقته تماما حدث . بقدر ما نستطيع . لا ان نتصور انه كان كما نريد ان يكون .

٢ ــ ان التاريخ الذي نريد كتابته يجب ان يضم مؤلفات تاريخيه تربيبه تتناول جميع عصور التاريخ العربي منذ العصور القديمه حتى العصر الحاضر .

٣ ــ أن يتناول هذا التاريخ الامه العربية والجماهير العربيه . اي المجتمع العربي في شتى ادواره وامصاره وفي خياته اليوميه وعلى امتدادها التاريخي في السابق .

٤ ــ ان يكتب تاريخنا ليكون تاريخ حضاره المجتمع العربي على مر العصور . وان يعالج تاريخ هذه الحضاره مختلف النواحي : السياسيه والاجتماعية والفكرية والاقتصاديه والفنيه دون اهمال واحده منها ، والا يكون هذا التاريخ تاريخ سلالات او خلفاء او ملوك أو سلاطين او حكام . اي الالحاح على المجتمع ككل لا على ناحية خاصة بالذات واهمال النواحي الاخرى . وبيان ما قدمه الفكر العربي من مآثر نظرية وعملية ، وما أحدث من تطور في المجتمع القائم بالنسبة الى المجتمع الذي سبقه . اي أن نبين ان المجتمع العربي ككل يتطور بتسلسل مستمر بالرغم من انقطاع بعض حلقاته في بعض الاحيان ، مع ذكر أوجه هذا التطور من ايجابية وسلبية .

٥ ــ ان المجتمع العربي . بالرغم من امتداد سطحه الجغرافي وتجزئته السياسية . كان وثيق الاتصال على صعيد الامة العربية والانسان العربي ، وأن يؤلف وحدة حضارية متميزة .

٦ ــ ان أمتنا العربية حية باقية على الزمان . مناضلة دوما في الدفاع عن نفسها وعن قيمها السامية ومقدساتها ومثلها العليا وهويتها الشخصية العربية . على الرغم من الغزو والاحتلال والاستعمار وتعاقب الامم الفاتحة .

٧ ــ لا طفره في التـــاريخ . بل تواصل وتداخل وتناسج بين عنصر قديم سائد وعنصر جديد يمدّه نسغ قوي فيحدث فيه التغيير . ومن هنا لا يمكن ان نتصور ان عصرا من العصور العربيه كان ظلاما . ثم تـلاه عصر نور واشراق . ولذا يقتضينا البحث عـــن مختلف العوامل التي اثرت في المجتمع الاسبق فاحدثت فيـــه التغيير وصيرت منـه مجتمعا جـــديدا دون الاكتفـاء بعامل واحد .

٨ ــ في التاريخ العربي الاسلامي كثير من الاحداث التي عالجها المؤرخون معالجه ناقصه او فسروها تفسيرا ضيقا او سريعا او عاطفيـــا او مغرضا . وأن من حـق المؤرخين المحدثين وواجبهم ان يطبقوا قـــواعد النقد العلمي المنزيه على هذه الاحداث ، وان يجدوا لها تفسيرا علميا منطقيا معقولا ومقبولا .

٩ ــ ان الحوادث التي مر بها العرب فرضت نفسها فكونت لتاريخهم ادوارا . شانهم في ذلك شان سائـــر الامم . مثل : عصر ما قبل الاســـلام أو تاريخ العرب القديم . عصر الرسالة . عصر الخلافة الراشدة ، العصر الاموي . العصر العباسي ... الخ .

ومن هنا يمكن ان يعالج التاريخ العربي تبعا لهـذه الادوار . مع الاخذ بالملاحظات السابقة ، او أن يعـالج على قرون ، اسوة بالمجموعات التاريخية التي أصدرتهـا الجامعات الاجنبية مثـــل : « مجموعة كمبردج » أو « الشعوب والحضارات » أو « التاريخ العام » وغيرها . او أن تعين عهود السيادة والنفوذ في التاريخ العربي ، وتتخذ نقاط انطلاق لتقسيم التاريخ العربي الى أدوار . ونذكر على سبيل المثال :

(ا) العصر العربي : ويتضمـــن تاريخ العرب قبـــل الاسلام . عصر الرسالة ، الخلفـاء الراشـدون . العصر الاموي .

(ب) عصر اللقاء والتفاعل الحضاري الذي يجمع بيـن التقاليد العربية والتراث الاجنبي .

(ج) العصر التركي ــ المغولي .

(د) العصر الاستعماري والنهضة العربية حتى نهايـــه الحرب العالمية الثانية .

(هـ) حاضر الامة العربية منذ ١٩٤٥ .

١٠ ــ ألا يكون التاريخ العربي في فراغ ، بل يجب ربطه بتاريخ الامم المجاورة والمعاصرة شرقيـة وغربية . وبما فيه من أخذ وعطاء ، ومزج حضاري .

١١ ــ أن يتفق في المؤتمر علـى تأريخ الحـوادث بالتاريخ الهجري ، أو الميلادي ، أو بكليهما معا .

١٢ ــ أن يتفق في المؤتمر على حجم وعدد صفحات وقطع وعدد الاجزاء التي تحتوي التاريخ العربي بأبعـاده الزمانية والمكانية ، اي الجغرافية . وأن تعين الموضوعات التي يجب معالجتها وأن توزع على أجزاء هذه المجموعة التاريخية .

١٣ ــ أن يحصى عدد المؤرخين في العالم العربي، وان توزع عليهم الموضوعات التاريخية حسب تخصصهم وبعد مشاورتهم ومعرفة رغباتهم . ويمكن أن يشتـرك في تاليف الجزء اكثر من مؤلف واحد .

١٤ ــ المجموعة التاريخية العربية التي نريدها، هي مجموعة تاريخية متسلسلة تاريخيا لتبيين مراحل التطور العربي والوصول به الى العصر الحاضر .

١٥ ــ هذه المجموعة التاريخية نريدها كتبا يدويـة يتداولها طلاب الجامعات العربية لتعرفهم بتاريخ أمتهم على حقيقته ما امكن بما فيه من مواطن القوة ومواطـــن الضعف . ولتكون لهم موجها علميا يرشدهم في الاقدام على العمل والبحث التاريخي برغبـة وشغف ، وتحبب اليهم دراسه التاريخ العـــربي والرجوع الى الامهـــات والمصادر الاولى التي استقـــى منها المؤلفون مادتهـم التاريخيه . مما تحبب الـــى القارىء العربي المستنير دراسة تاريخ أمته .

١٦ ــ ان يترك لمؤلف او لمؤلفي جزء من المجموعـة مهلة للانجاز تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات .

١٧ ــ ان تصدر المجموعة بلوحة جغرافية لتـاريخ الوطن العربي وامتداده عبر الاجيال وموقعه وأهميتـــه وموارده البشرية والاقتصادية وامكانياته الخ ... ولا بد لذلك من تشكيل لجنة جغرافية خاصة تتالف من عضوين أو ثلاثة أعضاء لوضع هذه اللوحة الجغرافية ــ التاريخية.

١٨ ــ أن تلي اللوحة الجغرافية السابقة لوحـــة اخرى تاريخية تؤلفها لجنة من عضوين أو ثلاثة أعضاء ، وتوضح فيها مراحل التاريخ العربي وما أنجزه الانسان العربي من مآثر واعمال في خـدمة الحضارة الانسانية لتبين ان الوجود العربي لم يكن عبثا في يوم من الايام . وان شرف انتماء العربي الى الامة العربية يرجع الـــى ما قدمته هذه الامة للانسانية من قيم رفيعة وأعمـــال خالـدة .

١٩ ــ ان تختتم المجموعة التاريخية بخاتمة مطولة نسبيا ترصد وتقيم التاريخ العربي على ضوء الدراسات التي أجريت في أجزاء المجموعة لتجعل من هذا التاريخ رصيدا عربيا زاخرا وقوة دفع للامة العربية وتطلعاتهـا وسعيها لبناء المستقبل العربي الافضـــل بالرغم مـن التحديات وعوامل الاستنزاف والافناء .

ولوضع هذه الخاتمة تؤلف لجنة خاصة أيضا .

٢٠ ــ تأليف لجنة من عـــدة أعضاء من مختلف التخصصات التاريخية العربية مسؤولة عن متابعة العمل حسب قرارات وتوصيات المؤتمر .

٢١ ــ تعيين الجهة الممولة للمشروع .

٢٢ ــ تحديد مكافأة تشجيعية مجزية وكريمـــة للمؤلفين .

د. نور الدين حاطوم
قسم التاريخ بجامعة الكويت